" رعاية الموقف " معيارًا نصيًّا في رواية " مدن الملح " لعبد الرحمن منيف

الكلمات المفتاحية: موقف ، معيار ، منيف

البحث مستل من أطروحة دكتوراه

بشائر علي عبد عباس **ا٠د٠ليث اسعد عبدالحميد**

جامعة ديالى/كلية التربية للعلوم الانسانية

Bashaerali2017@gmail.com ***drlaasabd50@gmail.com***

الملخص

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه وصفيه محمد واله الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إنّ للموقف اثر في تكوين النص ، فالكلام عنه يمثل العلاقة المتينة بين النص وسياقه على الرغم من اختلافه عن سياق الموقف عند اللغويين ،الذين نظروا الى المفردة او الوحدة اللغوية ولما لها من اثر في تفسير النص ،بينما غدا في علم النص تحديد دلالة النص بأكمله على وفق الظروف المحيطة به بعيدا عن دلالة مكوناته منفردة.

فدراسة النص تحتاج الى محيطه الخارجي ،وهذا المحيط الخارجي يمثل ظروف النص في صدوره عن المتكلم او الخطاب الموجه ،اضافة الى ذلك يتصل معناه بظروف حوارية مشتركة بين المتكلم ومتلقيه. ينتج عن هذا التلاقح علاقة التأثر والتأثير ،ولا يمكن عزلهما ، لانهما يسهمان في ايصال مقاصد المتكلم ومكنون خطابه. واصبح معيار (رعاية الموقف) شرطا اساسا في تحقيق عملية التواصل متمثلا بما يستحضره المتخاطبان اثناء عملية التواصل.

المقدمة

تُعد لسانيات النص أو نحو النص من المناهج اللسانية الحديثة ، فقد أثبت هذا المنهج خدمته للدرس اللغوي ، القديم والحديث ، وهو يفسِّر الدراسات التي لم يُفسِّرها نحو الجملة ، فهناك موضوعات لُغوية لا يتم تفسيرها إلا بدراسة النص كاملًا ، كتفصيل المجمل ، وإجمال المفصَّل ، وغيرها .

فظهرت بهذا الصدد دراسات وبحوث متعددة ، فضلًا عن الرسائل والأطاريح الجامعية حتى أصبح عِلمًا قائمًا بذاته .

ورواية " مدن الملْح " بأجزائها الخمسة تُعدّ تاريخية واقعية ، نجح مؤلفها في إيصال الأحداث والوقائع فيها إلى المتلقي ، أما الدراسات السابقة المشابهة للموضوع فهي متعددة ومتنوعة فيما يخص معايير لسانيات النص في حين تندر تلك الدراسات اللسانية التي تناولت الرواية ومنها (الترابط النصي في رواية النداء الخالد لنجيب الكيلاني دراسة تطبيقية في ضوء لسانيات النص) للباحثة عيدة مسبل العمري ، جامعة الملك سعود (٢٠٠٨). إلا إنّ خماسية (مدن الملح) تخلو من دراسات لسانية مشابهة .

والمعايير النصية السبعة يُكمِّل بعضها الآخر ونحن اخترنا معيار " رعاية الموقف " في هذه الرواية موضوعًا لبحثنا؛ إذْ إن أيَّ نصٍّ عربي لا يخلو من تلك المعايير ، ولاسيما " رعاية الموقف " ؛ لكونه يمثِّل الموقف أو الحال الذي أُنشئ فيه النص .

رعاية الموقف

يُعد النص خطاباً متماسكاً مترابطاً دلالياً ، تحكمه البيئة التي أُنتج فيها ، يكتسب ترابطه بوجود سياق متعلقٍ به . يخلق تفاعلاً بين مقصد المتكلِّم و متلقيه ، مختصاً بالمتلقي أكثر من منتج النص ؛ كونه مرتبطًا برفضه ، أو قبوله .

فرعاية الموقف:((تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه.ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يُراقب الموقف وأن يغيره))[١] .

والموقف لغةً ، مصدر للفعل (وَقَفَ) وهو الوضع الذي يقف فيه[٢] . أما اصطلاحاً فرعاية الموقف للنص تعني : ((أن يتصل بموقف يكون فيه ، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف ، وهذهِ البنية الشاسعة تسّمى سياق الموقف))[٣] ؛ لأن النص ليس مجرد وحدات صرفية أو رموزٍ فحسب ، بل عمل إنسانيٌ يقصده منتجه ، ويوجه السامعين إلى أن يبنوا عليه علاقات مختلفة ، فضلاً

عن كون النص يوجه المواقف ويغيرها على العكس من الجملة التي يكون أثرها محدوداً في المواقف الإنسانية[٤] .

وجلّ علماء النص يتفقون على ضرورة تأكيد البعد التداولي للنص وذلك على فرض أن الكاتب يُريد من نصِّه إيصال رسالة للمتلقي بظروف معينةٍ. وأن قبول النص مرتبط بمدى ملاءمته للسياق الذي ورد فيه[٥]. وهناك ((علاقات أخرى بين النص ومحيطه المباشر وغير المباشر . ويؤدي الفصل بين هذهِ العناصر الداخلية أو إسقاط أيّ منها أو إغفال أيٍّ علاقة سواء أكانت داخلية أم خارجية إلى العجز عن إثبات الوحدة الكلية أو التماسك و الانسجام الدَّلاليين للنص))[٦] .

وعليه فإن مستقبِل النص سيحلُّ أيّ مشكلة ممكن حدوثها عن أمور ليست ذات صلة بالنص[٧]؛ ليجعلها ذات صلة بالنص . إلى جانب ذلك فإن المقام يمثل ((أحد المقومات الفاعلة في اتساق النص ، وخاصة من الناحية الدلالية . وعليه فإن نصيّة الخطاب لا تكتمل و لا تستقيم إلا إذا راعى صاحبه في انجازه الظروف المحيطة التي سيظهر فيها النص))[٨] . وقد أُصطلح بـ(رعاية الموقف)[٩] و (المقام أو المقامية)[١٠] و(الموقفية)[١١]على السياق الخارجي ، إلا أنه يصبُّ في معنىً واحد هو : ((العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي ،أو بموقف قابل للاسترجاع))[١٢] .

ولم يغفل علماء العربية رعاية الموقف في تراثهم ولاسيما في الدراسات النحوية والبلاغية ، إذْ يُراعي في القول ملفوظاً أم مكتوباً ، فكان من رأيهم أنَّ (لكل مقامٍ مقالاً) فهم بذلك يتقدمون علماء لغة النص المحدثين بألف سنة تقريباً في الاعتراف بفكرة المقام والمقال ؛ لدورهما الفاعل في تحليل المعنى[١٣]. يقول ابن جني (ت٣٩٥هـ) : ((... هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها و لو شاهدتها لكنت بها أعرف ... و قد قيل (ليس المخبر كالمعاين) ... و ليست كل حكاية تُروى لنا ، و لا كلَّ خبرٍ يُنقل إلينا يُشفع بهِ شرح الأحوال التابعة له

،المقترنة – كانت – بهِ . نعم و لو نُقِلت إلينا لم نُفِد بسماعها ماكنا نفيده لو حضرناها))[١٤]

يُفهم من كلام ابن جني أنَّ أيَّ نصٍّ يحتاج إلى مكملات سياقية ، تفيد في إظهار المعنى و فهمه ، و هذا دليلٌ على أثر السياق و أهميته . كما أن البلاغيين كان لهم باعٌ طويلٌ في ذلك ، منه ما أورده الجاحظ قائلاً : ((ينبغي للمتكلّم أن يَعرِف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار المقامات واقتدار الحالات فيجعل لكلِّ طبقةٍ من ذلك كلاماً ، ولكل حالةٍ من ذلك مقاماً ،حتى يقسمَ أقدارَ الكلام على أقدار المعاني ،ويقسم أقدار المعاني على أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات))[١٥]. فكلام الجاحظ دليل عناية علماء العرب القدامى بمراعاة الموقف، و تطلعاتهم لها أهمية كبرى في هذا الجانب،ومادة غزيرة[١٦]، وأنَّ ((إبراز الملامح في النظر البلاغي عند العرب قام على اشتراط(موافقة الكلام لمقتضى الحال)))[١٧]. وقد عُدَّ الكلام بليغاً بمطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته[١٨].

و مراعاة الموقف من الامور غير اللغوية التي سلَّط البلاغيون الضوء على جوانب منها و إلحاحهم على فكرة (المقام) متخذين منها محوراً يدور فيه بحثهم البلاغي وعياً منهم بصوابها[١٩] . وعلى المتكلم أن يميز كلامه بميزة تعبيرية خاصة ،ومعناه أن الأحوال والمقامات هي مجموعة المؤشرات (غير اللغوية) التي تؤثر في لغة الكلام البليغ بحيث تترك فيه بصمات أو ظواهر تعبيرية توائمها وتتنوع بتنوعها[٢٠] . كما كان للنحاة العرب فضلٌ كبيرٌ في ذلك كما للبلاغيين ، تدلنا عليه كتبهم ، فكان إسهامهم واضحاً[٢١] . لكننا نكتفي بما ذكرناه ؛ لمقتضيات دراستنا.

أما علماء اللغة النصيون فقد اتضح دورهم بما أنشؤوه من مدارس، ومؤلفات فالمدرسة الوظيفية نادت بضرورة تحليل اللغة في ضوء علاقتها بالمتغيرات في العالم الخارجي ، على خلاف المدرسة التحويلية التي عنيت باللغة من دون النظر إلى عواملها الخارجية إذْ كانت جُلّ عنايتهم بالظواهر اللغوية النحوية[٢٢]، على حين ((آمن كثير من الغربيين بأنه لا يتسنى فهم التعابير

والأقوال وتأويلها إلا بوضعها في سياقها التواصلي،وإنَّ المتكلّم(الكاتب) والمستمع (القارئ) في قلب عملية التواصل))[٢٣].

فما يقدمه النص من بنيات داخلية ، إنما يؤكد ارتباطه بعالمهِ الخارجي ،فضلاً عن صلته بأنساق المجتمع والواقع ؛ إذْ إن علاقة الروائي والقارئ بالمجتمع يوضح البعد الوظيفي للنص توضيحاً جلياً ، كما يوضح أبعاده الخارجية[٢٤] .

فوظيفة النص تواصلية متصلة بالبعد الإجتماعي ، وعلاقة المتكلّم بالمقام وعلاقته مع مخاطبهِ . ولا يخفى على القارئ ما لعلماء النص المحدثين من أثر كبير في دراسة هذا المعيار .

فقارئ النص كي يحلل ايَّ نصٍّ كان ، فإنه يحتاج الإلمام بمحيطه الخارجي (المقام) أو الموقف الذي أُنتج فيه لحاله من أثر في عملية الفهم عِبْرَ التفاعل بين النص والموقف ؛ إذْ إن بعض النصوص تتطلب معرفة مدلولها ليتيسَّر على القارئ فهمها[٢٥] ، ففضلاً عن الإطار اللغوي للنص فهناك ((الإطار الاجتماعي والثقافي الخاص ، الذي يُشّكل خلفية ذهنية ينبغي أن تكون مشتركة بين المتلقي والمرسل لتوحيد المعنى بينهما))[٢٦] .

ويُعد العالم الخارجي للنص بنية تواصلية نتيجة تقنية الكاتب ، وعلى القارئ أن يَجِدَّ في معرفة الوسيلة التي حدثت بها تلك التقنية ، فإن تقنية الكاتب إنما هي – في النهاية – صنعة في اللغة ، فاللغة هي كل ما يفعله بوصفه كاتباً ، وتظل بنية الخطاب تحت مراقبته ؛ ليكسب بذلك تعاطف القارئ[٢٧] . وقد يعتمد القارئ في عملية فهمه لخطابٍ ما على أحداث سابقة مشابهة انطلاقاً من تجاربه ، فإنه يصبح قادراً على التنبؤ بما يمكن حدوثه في دائرة نمط معين للأحداث التواصلية تجعل السامع / القارئ في مقام كلامي معين ، ويركّز عنايته لما يمتلك من مقامات مشابهة يبني عليها تفاصيل محتملة يُراعي فيها الموقف الذي كتب فيه النص[٢٨].

والتوقعات تجعل عملية الفهم ممكنة ؛إذْ إنَّ معايشة مواقف معينة تتيح للقارئ إمكان التنبؤ العام الذي يولّد التناسب أو التنبؤ المحدود ، أي : فهم علامات لغوية بالطريقة التي فُهمت بها في سياقات مماثلة [٢٩].

و جُمل النص التي يَنْظَمُّ بعضها إلى بعض ، إنما يدلُّنا عليها – غالباً – محيطها الخارجي ، وهو أيضاً – المحيط الخارجي للنص – الذي ينبئ على أن النص وُضِعَ للدلالة على شيء.

وقد راعى الروائي (عبدالرحمن منيف) سياق الموقف أو الحال في روايته فلم يكن عالمها الخارجي بمعزلٍ عن بنيتها الداخلية . فقد اتضح أن المقام إنما هو مفهوم خارجي في نطاق الزمان والمكان[٣٠]، و أن الثقافات تتغير بتغيُّر ثقافة المجتمعات و تنوّع مواقفها[٣١] ،و(مدن الملح) رواية مليئة بالأحداث والمواقف ،وتنوّع مجتمعاتها بتنوعّ المواقف فيها. نجح (منيف) بإيجاد التناسب بين حدث النص و الموقف الذي أُنشئ فيه . يقول منيف:

((الرواية أداة لمعرفة أفضل للحياة ،ومهمتها الأساسية تغيير الإنسان لا تغيّر الواقع))[٣٢] وهذهِ المعرفة ((تتوقع أن تغيّر منظور الإنسان إلى الواقع و لا تغيرّ من الواقع شيئاً))[٣٣].

وقد نسج (منيف) روايته (مدن الملح) بإحالتها على زمن ما قبل النفط ،وما بعده ، وهي رواية تنطوي ((على مرجع خارجي ، تجرده فنياً كي تنفصل عنه ،منتهية إلى واقع نفطي مكتفٍ بذاته يحاكيه الواقع ، بصيغة الجمع ، و لا يحاكي ما خارجه . إنه خلْق الواقع ، أو إعادة خلقه ، بمواد متعددة قوامها المعرفة و الخبرة والمتخيّل و البصيرة و تقنيات أدبية موافقة ... يتمثل المرجع الخارجي الأساسي ،في رواية منيف ، بقارئ عربي يتمتع بخبرة جماعية ،عاش آثار النفط و صدمته الحكايات النفطية))[٣٤].

في (مدن الملح) نرى أبرز الدلالات التي تؤشَّر إليها تحمل رغيد العيش على الرغم من قساوة الظروف و الطبيعة ؛ لأن أهلها يعيشون حياتهم غير مكرهين أو مجبرين على شيء ، بعيدين كل البعد عن الحرب و الهزيمة . يتحدث الكاتب عن (وادي العيون) و هو المكان الذي يمثِّل الصحراء التي أصبحت بقعة خضراء دلالة الخير كان يعيشه أهل الوادي ، التي جعلت الإنسان غنياً على الرغم من فقره لترفّعه ، يقول الكاتب : ((ما يميز أهل الوادي و يجعلهم نمطاً خاصاً من الناس يظهر أكثر ما يظهر في العتوم ، لأنهم في المكان الذي أختاروه سكناً لهم ،

في الظهرة ، ثم العلاقة التي تربطهم بالعشيرة الكبيرة المنتشرة على مدن الصحراء كوّنت لهم نظرة للحياة و العلاقات و السلوك قد تختلف عن الآخرين ...))[٣٥] فما ذكره الراوي من أشخاص و أحداث و أفعال ، إنما هو المرجع الذي يحيل عليه النص ،يحكي عمّا كان واقعاً ، فالنص عند قراءته ، يوحي بواقع يُذكر القارئ بأحداثٍ وقعت و أشخاص فعليين ، كأننا نعرفهم بواقعية ما يرويه[٣٦]. ثم يأخذ الراوي بالحديث عن وصف الحياة في تلك البقعة (وادي العيون) مما انعكس على الناس فيها ، يقول : ((نتيجة لهذهِ الحياة اكتسب الناس في وادي العيون صفات في الجسد شديدة الظهور ، فهم أميل إلى الطول مع اتساق العظام . أما الأطراف فمستقيمة ناحلة و كذلك الخصور و الأكتاف حتى ليظن من ينظر إليهم و كأنهم مجموعة من الخيول التي طال ترويضها و إتعابها ...))[٣٧] ، بعد ذكر الراوي للمكان الذي يرى أنه سُلِب قهراً ، شرع بذكر صفات أهله ، و مخلوقاته فقِوام أجسادهم اكتسبوها من واقع حياتهم في ذلك الوادي (البقعة الخضراء كما وصفها منيف) ، و صرَّح بـ(الخيول) مجازاً ، تعبيراً عن القوة و الجمال فهي من طبيعة اهل المكان أيضاً ،كما ((لو كانت الطبيعة المخلوقة من الخضرة و المطر و الوديان و البادية تعكس ألوانها المتعددة على البشر))[٣٨] . واستمد الراوي ألفاظ نصّه من واقع يصوّره في ذهن القارئ كأنه يعيشه ، لا في الذاكرة فحسب ، بل في واقعه الحقيقي ،فيتولدّ تفاعلاً بين الراوي و القارئ يكشف عن المقام .

ومن حديثٍ له عن واقع حالٍ يغمر المناطق البدوية ، حين وُلِدَ لـ(متعب الهذال) أحد أبرز شخصيات (وادي العيون) ، ولدٌ ، يقول الراوي : ((... وفي المساء أولم متعب وليمة كبيرة ، ذبح خروفاً و دعا الكثيرين ...))[٣٩] فهي عادة يتوارثها سكان القرى والبوادي ، قد استمدها الراوي من الواقع ، أفعالٌ تكشف عن طبيعة البشر هناك ، و تُعدّ من قِيَمِهِم ؛ إذْ إنّ توالي الأحداث للأداء اللغوي ، وتكون لها علاقة بالاتصال ، إنما ينتج عنه سياق الموقف[٤٠] .

مرة أخرى ينجح الراوي برعايته للموقف حين صوَّر مشاهد الرافضين للواقع الذي جعل حياتهم جحيماً لا يُطاق ، وقمعهم و تصفيتهم بجهاز الشرطة الذي فشل في إنهاء اضراب العمال في معسكر الاميركان ، بعد استغناء الشركة الاميركية

عن خدمات ثلاثة وعشرين عاملاً منهم[٤١] ، فقد تجمعوا عند بوابة العمال في المعسكر ،قائلاً : ((... كان العمال قد كسروا بوابة المعسكر و مزقوا الأوراق و حطموا لوحة الاعلانات . كما جلبوا بعض البراميل الفارغة فسدوا البوابة الرئيسية و البوابة الأخرى ،وملأوا هذهِ البراميل بالرمل...عند الظهر كانت جموع العمال تتوجه من المعسكر إلى حران ... أما حين اقتربوا من حران فقد انضمَّ إليهم ناس آخرون ...))[٤٢]. فواقع حال أهل وادي العيون وُلدِوا في ظل ظروف آمنة في واديهم مميّزين فيه ،تُظلّلهم الطمأنينة ،أما اليوم فيطالُهم التغيير والأحوال المتقلبة التي شهدها مجتمعهم ،ما جعلهم يشهدون الثورة والاضطراب ، فكان من الصعب انقيادهم ؛بسبب ما كانوا يعيشونه وما راحوا يرونه من حضارة الأجانب الاميركان التي وفدت إليهم كرهاً.

فالكاتب يروي واقعاً اجتماعيًا يعاني منه مجتمعٌ عربيٌ مسلوب الحقوق ؛إذ ((كان الناس يعانون من التفكك الذي أصاب حياتهم الهانئة في وادي العيون ،يشعرون بالوحشة ، والحرمان ، يرون أن لهم حقوقاً مسلوبة و أنهم عاجزون عن النفاذ إلى عمق ما يجري ، إلى الخفي الذي يتبدى في أكثر من ظاهر))[٤٣].

ومن أمثلة رواية "منيف" التي تنسجم والمقام ، قوله : ((... و بدا متعب الهذال وهو يرتفع مثل خيمة كبيرة ، ثم بدا مثل غيمة ، أما حين بدأ حركته السريعة فقد أصبح مثل طيرٍ أبيض ... و بدأ يبتعد و يبتعد حتى تلاشى ... و اختفى))[٤٤] فالخيمة متعلقة بحياة الصحراء ،ثم تابع كلامه عن الرحيل (رحيل متعب) بالغيمة وأردفه بالطير ، وكأن الحياة الجديدة التي سيشهدها الوادي تنفي الإنسان و الطائر ،وحتى الغيمة . فقد استعمل الفاظه تلك و طريقة الربط لكي يستطيع التأثير في وجدان القارئ / المتلقي ، يستمدّها من الواقع.

ومن نصوص رعاية الموقف في " مدن الملح " ما هدفَ إليه عبد الرحمن منيف في الاقتراب من لغة الناس التي ربما يفكرون في التحدث بها ، فهذا يجعل الشخصية قريبة من الواقع متفقاً مع ظروفها الاجتماعية و مظهرها الثقافي[٤٥] ، يقول الكاتب : ((ما كاد الاسبوع الأول يمرّ على وصول العائلة {عائلة الحكيم } ، حتى استأذن الحكيم ، بكثير من التواضع و الخجل ، أن يوافق صاحب الجلالة

على أن تقوم حرمه بزيارة خاصة للماجدة زوجة السلطان ، لتقدم احترامها و لتكون في الخدمة . وإذا أجاب السلطان ، بكلمات سريعة مرتبكة ، أن الأمر لا يحتاج إلى هذهِ الموافقة ، ولأن نساء القصر ، بمن فيهن حرمه ، لم يتعودن على مثل هذهِ المراسيم ، فقد خطا الحكيم خطوة إضافية أن طلب من جلالته أن يتفضل بتخصيص دقيقة واحدة فقط من وقته لكي يقوم غزوان بتقبيل يديه. وغزوان الذي أصرّ منذ اليوم الثاني على أن يرافق أباه ((لمرة واحدة ...)) و يزور القصر ويعرف أين يجلس أبوه و كيف يعمل ،رافقه مرة ثانية و الآن و صاحب الجلالة السلطان يهز رأسه ويقول إن ((ابنك مثل أولادنا يا دكتور و أهلاً و سهلاً و لازم نتعرف عليه)) يغمز الحكيم مليحان حاجب السلطان ، لكي ينادي على غزوان ...))[٤٦] فاللغة الوسطى المستعملة في النص تجعل الشخصية قريبة جداً من الواقع و ذلك أدعى للقبول ؛إذْ عَمَد " منيف " في روايته إلى متواليات حكائية تنفذ إلى طبقات الانسان قارئةً أقداره وعلاقته بالمحيط الخارجي المؤثر فيه[٤٧].

ومن النصوص التي راعى الكاتب فيها الموقف قوله :((دول تنهض فجأة ،وأخرى تغيب. القارات تقسم بحسب خطوط الطول ،وخطوط العرض. المناطق والشعوب تجزَّأ ،أو تلحق ،تبعاً لرغبات الأقوياء الذين يتخذون القرارات ،وتبعاً لمصالحهم و قدرتهم على المساومة و نقض الوعود و العهود .الملوك و السلاطين ،ومعهم الجواكر ، يخترعون في التو واللحظة ليتولوا الأمور ، أو يحكم عليهم بالنفي إلى الجزر البعيدة لكي يموتوا هناك منسيين ،و بصمت هكذا كان العالم في مطالع هذا القرن .

أما موران ، هذهِ الصحراء الغارقة في الرمال و النسيان فكان أمراؤها المائة يتنازعون أجزاءها كما تتنازع النسور . كانت " دولهم " تكبر وتصغر ، وبعض الأحيان تنتهي ، تبعاً للغزوات أو الهواء الأصفر الذي يصل إلى هذا المكان النائي مع المسافرين . فإذا نجت موران من هذهِ الويلات ... فعندئذٍ لابد أن يتكفل أمراؤها المائة بتحويلها إلى جحيم ...))[٤٨] . جاءت كلمات " منيف " مطابقة لشعور الناس الشعور الذي يختلج الكاتب في اثناء كتابة نصّه ، جاء ذلك نتيجة الظروف

التي أحاطت الكاتب و المتلقي ، فانتقائِه لكلمات قوية يدلل على درجة انفعاله و غضبه ،فغياب الدول و ظهور أخرى يعقبه تقسيم القارات وتجزئه المناطق و الشعوب تبعاً لرغبة الأقوياء ، بحسب المصلحة ... ، كلها أحداث واقعية مرّت بها المجتمعات العربية و لا زالت ، و كأن الكاتب ((يقصّ أحداثاً انقضت ، وهو يعرف نهايتها كما عرف بدايتها ، لكن هذا الماضي هو الحاضر في الرواية ، وهو الوجود الملموس والحي فيها))[٤٩] .

فعالم النصّ و عالم المقام تجمعهما علاقة اتصال لا انفصال ، والعوامل الاجتماعية هي التي تحدّد بناء المقام ، الذي يتكون من ((نسيج الثقافة الشعبية زمانياً في تطوّرها من الماضي إلى الحاضر إذ يرثها جيلٌ عن جيلٍ))[٥٠] . " فعبد الرحمن منيف " يرى أن اكتشاف النفط بهذهِ الطريقة التي أجبرت الناس على ترك أراضيهم و ممتلكاتهم و حياتهم ، إنما هو خطر يهددهم في ظل سُلُطاتٍ يتوارثها الأبناء عن آبائهم ، و حكّامٍ خاضعين للمحتل الأجنبي ، فتحلّ اللعنات عليهم بسبب ذلك . و يتحدّث " منيف " عن حال موران وأهلها في ظل حكم السلطان (خربيط) ،والانهيار الذي أوشك أن يصيبها وضيق الحياة فيها ،قائلاً: ((ولا يكفي أن يكون البشر وحدهم ضده ، فالله ذاته بدأ أيضاً . بعث السنة الأولى القحط. سنة طويلة سوداء ، طغت على الزرع و الضرع ، فجاع الناس و صرخوا ،ونفقت الماشية ،وانتقلت البادية إلى المدن أو أطرافها ، و معها جوعها و تحديها ، وبدأ أن كل شيء على وشك الانهيار و النهاية. فالارض تهتز ،وتوشك أن تنقلب. وابن ماضي يبعث بالأموال والمتطوعين ،مستغلاً الجوع والحاجة والضيق ،ليحرك مَنْ لم يتحرك بعد ،ولكي يحرض القريبين والبعيدين. وتأتي بعد ذلك جرائد العالم كلّه لتقول ((أي مجرم ولدته صحراء موران ،وإلى متى يبقى ،ولماذا لا يذهب اليوم قبل الغد ؟ ... لو أن الأمر توقف عند هذا الحدّ لَصبَرَ وصبرَ معه الناس واحتملوا ،لكن ما كادت سنة الجوع تتراجع حتى جاء الهواء الأصفر . و في طريقه حصد الكثيرين ، من الصغار والكبار ، ولم يتوقف عند أبواب قصر الروض ، بل تجاوزها و دخل))[٥١] .

أراد الكاتب أن ينقل واقع حال (موران) في ظل سُلُطاتها و ما حلَّ بها من الجوع و النقص و الفقر حتى الأمراض و الأوبئة ؛ إذْ ربط بين الفقر و الأمراض لقرب العلاقة بينهما ، فكثيراً ما يتصاحبان معاً ، فيفتكان بالناس و ممتلكاتهم ،تاريخ معاش يعرفه القارئ و يتعرّف عليه ، حيث كان العدوان عادة و النفط مشروعاً .

و أخذ " منيف " يتنقل بين الماضي و الحاضر في نص الرواية و هي ((تقنية روائية و تصوراً للعالم في آن ، يفصل بين المغلوبين و خصومهم و بين زمن آثم و آخر مشتهى ... هي صورة عن الحياة التي لا تنتهي))[٥٢].

إن السياق غير اللغوي ، سياق الحال أو الموقف هو كل ما يحيل على خارج النص ، أو يعني كل ما حول النص من مؤثرات بيئية ، تاريخية كانت أو غيرها تنعكس على النص مصطبغاً ببعض ألوانها[٥٣].

كان الراوي في سرده للأحداث يقترب من الواقع الذي كان يعيشه الناس في تلك البادية وكأن المتلقي عند القراءة يعيش معه ، يقترب من الحدث أكثر وهو يصف الواقع اليسير لأهل موران وأبنيتها وشوارعها قبل التغير وبعده ، معلناً التنافر بين قطبي الحي الشعبي والمدينة الجديدة قائلاً : ((... بَدَتْ له مدينة منفّرة قاسية. صحيح أنها تغيرت كثيراً خلال هذهِ السنوات ،امتلأت بالفيلات والبيوت المبنية على الطراز الياباني و الطراز الانكليزي ، و بيوت أخرى كثيرة أخذت من كل طرازٍ طرفاً، وظلت في أمكنة عديدة منها خلف الشوارع الواسعة و خلف الابنية الجديدة العالية تلك البيوت الطينية الواطئة ...))[٥٤] ، فقد صوَّر لنا الراوي أن هذا هو حال "موران" ،الحي الشعبي الثابت ، أما وقوعه خلف الحي الراقي ، فالمعنى أنه مهمش ، فهذا العمران يجعل الإنسان يحسُّ بالاغتراب ، و تلك الطبيعة العمرانية لا تَمُتُّ للبيئية الصحراوية بِصِلَةٍ .

و يستمر " منيف " بتصويره لواقع الناس ، و حياتهم في " موران " ومُدُنِهِم التي قامتْ على جذور هشَّة ، نتيجة امتلائها بالسجون ، وانتشار الجوع والقتل وحملات الإعدامات ، كل ذلك خلق توتراً في نفوس الفقراء ، و تصاعدت مشاعر الألم عندهم إلى جانب عجزهم عن مواجهة تلك الظروف فنتج توتراً بينهم و بين

السلطان " فنر " ،والسلطان و الاميركان من جهة أخرى ، يصوّر " منيف " ذلك الواقع الهش المؤقت بقوله : ((و تقوم مدن الملح ، ترتفع و تكبر ، لكن إذا جاها الماء ولا كأنها كانت !))[٥٥] .

إن علاقة الناس بالمكان الذي يقطنون فيه علاقة ودٍّ متبادلة كما ينقلها الراوي ،فقد اكتسبوا صفات الأجساد من الطبيعة و المناخ ، و هذا يدلُّنا على أنهم سيغيرون بتغيره ، وهذا ما حاول " منيف " أن ينقله ، بقوله : ((لما وصلا إلى وادي العيون بدا المكان لفواز و كأنه لم يره من قبل . لم تعد له صلة بالوادي الذي تركه ، لم يبق فيه شيء من الاشياء القديمة ، حتى الريح التي كانت تهب في مثل هذا الوقت من السنة طرية منعشة ، أصبحت الآن لفحاً قاسياً خلال ساعات النهار كلها ، و برداً ينفذ إلى العظم ... أما الرجال الذين تجمعوا ، لا يعرف من أين ، في البيوت الخشبية و الخيام ، فقد كانوا خليطاً عجيباً من البشر ، و لا يشبهون أيًّا من الذين يمكن أن يلتقي بهم الإنسان ... و بدا له كل واحد من العمال أشبه بطير من الطيور ضل سربه و طريقه فلا يستطيع البقاء و لا يقوى على متابعة الرحيل)) [٥٦] هكذا بدا (وادي العيون) بعدما أصابه التغيير ، فكان له وقعاً في نفوس أهله حيث تحطمت تلك العلاقة التي تربطه بهم ، فكان من شأنه أن يجعلهم غرباء في وطنهم ؛ لِما للمكان من خصوصيةٍ ؛ كونه ((أكثر التصاقاً بحياة البشر ... حيث إن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث))[٥٧].

فالراوي عند توضيحه لعلاقة المكان بالبشر إنما أراد إيصال معلومة للمتلقي تفيد بأنه ينقل أحداثاً واقعية فضلاً عن كونها تاريخية ، فرعايته للموقف يظهر بوصفه للمكان ؛ لأنه مرتبط ((بالإدراك الحسي ... ومن هذا المنطلق نرى أن المكان ليس حقيقة مجردة وأنما يظهر من خلال الاشياء التي تشغل الفراغ أو الحيز ، و اسلوب تقديم الأشياء هو الوصف))[٥٨] .

يعتمد " منيف " في " مدن الملح " على البيئة ، فهي المحور الأساس الذي تدور فيهِ أحداث الرواية ، فضلاً عن توالي الشخصيات التي تتوالى بتوالي الأمكنة ،وتختفي باختفائها ، كما تكتسب كل شيء من البيئة ، فالصفة الغالبة عليها هي البداوة ، يصوّر لنا " منيف " ذلك بنجاح وتألق حينما ينقل تعاليم " هاملتون "

العميل البريطاني إلى السلطان " فنر" بقوله : ((... هزّ هاملتون رأسه عدة مرات دلالة الفهم ، لكن ظل قلقاً . و تأكد في نفس الوقت أن " الأمير " بدأ يلبس العباءة والعقال ،وأن " وصاياه " اكتسبت الكثير من صفات البداوة و ملامحها ، و حتى لهجتها ،فضحك بزهو ، وقال لنفسه : " ليت ميكافلي حي و يرى "))[٥٩] .

استطاع " منيف " و بدقة ربط كلامه بالبيئة ، و واقعها بإضافة مقدارٍ من البداوة عليه ، فالتعاليم التي يصدرها (هاملتون) يجب أن تكتسب صفات البداوة كي يُلائم البيئة فـ" العقال " و " العباءة " أزياء شعبية محلية ، و قوله أن الأمير بدأ يلبسها ، فالمعنى أنه أصبح يمتثل لهذه التعاليم .

والكاتب باعتماده على كثرة التفاصيل في الرواية ((فإنه يحاول استرجاع ذاكرة المجتمع في حالة التلاشي و يُلم بالظواهر الاجتماعية للمجتمع المعاصر ،وقد نجح عبد الرحمن منيف إلى حدّ كبير في خلق صدمة قوية ومؤثرة للقارئ عندما يعترف هذا الأخير عن جوهر العلاقات الاجتماعية ، والتغيرات الحادة التي أوصلت المجتمع العربي الصحراوي إلى ما هو عليه الآن من قابلية التوقف والذوبان))[٦٠].

الخاتمة

خلص البحث الى نتائج اهمها :

١.يعد معيار (رعاية الموقف) انعكاسة يضفيها على حياة النص.

٢.للموقف علاقة وثيقة بتحقيق النص بعد عَوْدِ تراكيبه على الأحداث الموقفية ينتج عنها تكاملها.

٣. يبرز دور الموقف وسياقه في تحقيق الترابط النصي ولاسيما من الناحية الدلالية، وعليه فان نصية الخطاب لا تكتمل إلا بمراعاة صاحبه في انجازه الظروف المحيطة التي سيظهر فيها النص.

٤.استطاع الروائي – عبد الرحمن منيف – وبدقة ربط كلامه بالبيئة و واقعها.

Abstract

Considering The Situation As A Textual Criterion In "Cities of Salt" to Abdurrahman Munif

Keyword: Position - Standard - Munif

PhD student ***Professor Supervisor***

Bashaer Ali Abd Abbas ***Prof. Laith Asaad Abdel Hamid***

University of Diyala / Faculty of Education for Human Sciences

Text Linguistics is considered as one of the modern linguistic approaches as it serves the classic and modern linguistic studies and explains the studies that were left unexplained by the syntax of the sentence as such linguistic subjects cannot be explained only by studying the text in full as an elaboration of the summary and summarizing the elaboration. As such, many studies appeared to tackle this phenomenon, beside the theses and dissertations.

"Cities of Salt" in its five parts is considered as a real and historical novel by which the author was successful in delivering the events and fact to the reader as most novels express the psychological, social and intellectual suffering of nations and literature is of close relation to society as it depicts the human and social life. The seven criteria are related to each other in a sense that one completes the other. The researcher has chosen to consider the situation as it represents the context in which the text is written.

الهوامش

(١)النص و الخطاب و الاجراء : ١٠٤ .

(٢)ينظر : مقاييس اللغة مادة (وقف) : ١٣٥/٦ ، ولسان العرب مادة (وقف) .

(٣)النص و الخطاب و الاجراء : ٩١ .

(٤)ينظر : المصدر نفسه : ٩٢ .

(٥)ينظر : النص و الخطاب و الاجراء : ٩١ .

(٦)دراسات لغوية تطبيقية : ٧٨ .

(٧)ينظر :إجتهادات لغوية : ٣٨٠ .

[٨]مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه : ٩٨ .

[٩]ينظر : النص و الخطاب و الاجراء : ١٠٤ ، اجتهادات لغوية : ٣٨٠ .

[١٠]ينظر : مدخل إلى علم النص و مجالات تطبيقه : ٩٧ .

[١١]ينظر : مدخل إلى علم لغة النص : ١٢ .

[١٢]المصدر نفسه .

[١٣]ينظر : اللغة العربية معناها و مبناها : ٣٣٧ .

[١٤]الخصائص : ١/٢٠٦-٢٠٧ .

[١٥]البيان و التبيين : ١/١٣٨-١٣٩ .

[١٦]ينظر : مراعاة المخاطب في النحو العربي: ٢٨ .

[١٧]نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: ٨٧ .

[١٨]ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني و البيان و البديع)

[١٩]ينظر : مراعاة المخاطب في النحو العربي : ٢٩ ، و في نظرية الأدب و علم النص بحوث و قراءات: ٢١٩

[٢٠]ينظر : شروح التلخيص ، سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ): ١/١٢٢-١٢٦ ، و مراعاة المخاطب في النحو العربي : ٢٩ .

[٢١]للإستزادة ينظر : مراعاة المخاطب في النحو العربي : ٤٣-٤٧ .

[٢٢]ينظر : نظرية السياق المقام و الموقف الكلامي بين اللغوين العرب و الأجانب ع ٢٤-٢٥ ، ١٩٩٤ : ٧٧ .

[٢٣]مراعاة المخاطب في النحو العربي : ٥١.

[٢٤]ينظر : انفتاح النص الروائي : النص و السياق : ١٣ .

[٢٥]ينظر : تحليل الخطاب:٣٥.

[٢٦]المعنى خارج النص : أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب: ٩ .

[٢٧]ينظر : اللسانيات و الرواية: ٢٠ .

[٢٨]ينظر : تحليل الخطاب : ٧٥ .

[٢٩]ينظر : تحليل الخطاب : ٧٦ ، وعلم لغة النص النظرية و التطبيق : ٦ .

[٣٠]ينظر : المعايير النصية في الصحيفة الصادقية : ١٤٣ .

[٣١]ينظر : اللغة العربية معناها و مبناها : ٣٥١ .

[٣٢]الرواية و تأويل التاريخ نظرية الرواية و الرواية العربية: ٢١٤ .

[٣٣]المصدر نفسه .

[٣٤]ينظر : الرواية و تأويل التاريخ : ٢٣٥ .

[٣٥]الرواية (التيه) : ١٦/١ .

[٣٦]ينظر :الرواي : الموقع و الشكل : ٢٠٠ – ٢٠٣ .

[٣٧]الرواية (التيه) : ١ / ١٨ .

[٣٨]الرواية و تأويل التاريخ : ٢٢٧ .

[٣٩]الرواية (التيه) :٢١/١ .

[٤٠]ينظر : اجتهادات لغوية : ٢٣٧ .

[٤١]ينظر : البنية الروائية في رواية الاخدود (مدن الملح) لعبد الرحمن منيف: ١٣٣ .

[٤٢]الرواية (التيه) : ٥٨٤/١–٥٨٥ .

[٤٣]الراوي : الموقع و الشكل : ١٧٨ .

[٤٤]الرواية (التيه) : ١ / ١١٣ .

[٤٥]ينظر : البنية الروائية في رواية الاخدود (مدن الملح) : ١١٩ .

[٤٦]الرواية (الأخدود) : ٤٣/٢ .

[٤٧]ينظر : الرواية و تأويل التاريخ : ٢٣٥ – ٢٣٦ .

[٤٨]الرواية (تقاسيم الليل و نهار) : ١١/٣–١٢ .

[٤٩]البنية الروائية في رواية الأخدود (مدن الملح) : ٧٤ .

[٥٠]اللغة العربية مبناها و معناها : ٣٥١ .

[٥١]الرواية (تقاسيم الليل و النهار) : ٢١٧/٣ .

[٥٢]الرواية و تأويل التاريخ : ٢٣٨ .

[٥٣]ينظر : السياق والنص – استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة محمد خيضر – بسكرة (الجزائر) ع٢ و٣، ٢٠٠٨م : ٥.

[٥٤]الرواية (الأخدود) : ٢ / ٤٨٢ .

[٥٥]الرواية (بادية الظلمات) : ٥ / ٣٨٧ .

[٥٦]الرواية (التيه) : ١ / ١٣٩ .

[٥٧]بناء الرواية دراسة مقارنة في ((ثلاثية)) نجيب محفوظ: ١٠٦ .

[٥٨]المكان و دلالته في رواية " مدن الملح ": ٥٢ .

[٥٩]الرواية (بادية الظلمات) : ٥ / ٤٦ .

[٦٠]المكان و دلالته في رواية " مدن الملح " : ١٥٦ .

المصادر

i. اجتهادات لغوية : د. تمام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٧م .

ii. الأخدود (مدن الملح) : (عبد الرحمن منيف) ، المؤسسة العربية ، دار التنوير ، بيروت – لبنان ، ط ١٤ ، ٢٠١٥م .

iii. انفتاح النص الروائي :د . سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، بيروت – لبنان ، ط٣ ،٢٠٠٦م .

iv. الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

v. بادية الظلمات (مدن الملح) : عبد الرحمن منيف ، المؤسسة العربية ، دار التنوير ، بيروت – لبنان ، ط ١٤ ، ٢٠١٥م .

vi. بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ : د. سيزا قاسم ، مهرجان القراءة للجميع ، القاهرة ، ٢٠٠٤ م . د.ط .

vii. ٧ . البنية الروائية في رواية الأخدود (مدن الملح) لعبد الرحمن منيف : د. محمد عبد الله القواسمة ، مكتبة المجتمع العربي ، ط١ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

viii. البيان و التبيين : ابو عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، تح : عبد السلام هارون مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م .

ix. ٩ . تحليل الخطاب : براون و يول ، ترجمة : محمد لطفي الزليطي و منير التريكي ، الرياض ، ١٩٩٧ م ، د.ط .

x. ١٠. تقاسيم الليل و النهار (مدن الملح) : عبد الرحمن منيف ، المؤسسة العربية ، دار التنوير ، بيروت – لبنان ، ط١٤ ، ٢٠١٥ م .

xi. ١١. التيه (مدن الملح) : عبد الرحمن منيف ، المؤسسة العربية ، دار التنوير ، بيروت – لبنان ، ط ١٤ ، ٢٠١٥م .

xii. ١٢. الخصائص : ابو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، تح : محمد علي النجار ، عالم الكتب للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت – لبنان، ط١ ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢ م .

xiii. ١٣. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية و الدلالة : د. سعيد حسن بحيري ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

xiv. ١٤. الراوي : الموقع و الشكل – بحث في السرد الروائي : د. يمنى العيد ، دار الفارابي للنشر ، بيروت – لبنان ، ط٣ ، ٢٠١٤م .

xv. ١٥. الرواية و تأويل التاريخ (نظرية الرواية و الرواية العربية) : د. فيصل درّاج ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٢م.

xvi. ١٦. السياق و النص استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي : أ. فطومة لحمادي ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة (الجزائر) ، مجلة كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية ، العدد (٢و٣) ، ٢٠٠٨ م .

xvii. ١٧. شروح التلخيص : سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) ، ابن يعقوب المغربي – بهاء الدين السبكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د.ط ، ١٩٣٧ م .

xviii. ١٨. اللغة العربية معناها و مبناها : د. تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء – المغرب ، ط١، ١٩٩٤ م .

xix. ١٩. اللسانيات و الرواية : روجر فاولر ، ترجمة: لحَسن أحمامة ، دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر ، ط١ ، ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م .

xx. ٢٠. نظرية السياق (المقام) والموقف الكلامي بين اللغويين العرب والأجانب : د . هادي نهر ، مجلة آداب المستنصرية ، ع (٢٤ – ٢٥) ، ١٩٩٣ م .

xxi. ٢١ . مدخل إلى علم لغة النص : د. إلهام ابو غزالة و علي خليل حمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٩٩ م .

xxii. ٢٢. مدخل إلى علم لغة النص و مجالات تطبيقه : محمد الأخضر الصبيحي ، منشورات الاختلاف ، الدار للعربية العلوم ناشرون ، الجزائر ، د.ط و د.ت .

xxiii. ٢٣. مراعاة المخاطب في النحو العربي : د. بان الخفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

xxiv. ٢٤. المعنى خارج النص " أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب " : فاطمة الشيدي ، دار نينوى للطباعة و النشر ، دمشق ، د.ط ، ٢٠١١ م .

xxv. ٢٥. مقاييس اللغة : أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، ط١ ، ١٩٧٩ م .

xxvi. ٢٦. المعايير النصية في الصحيفة الصادقية : حسنين أحمد حسن ، ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، ١٤٣٥ هـ – ٢٠١٤ م .